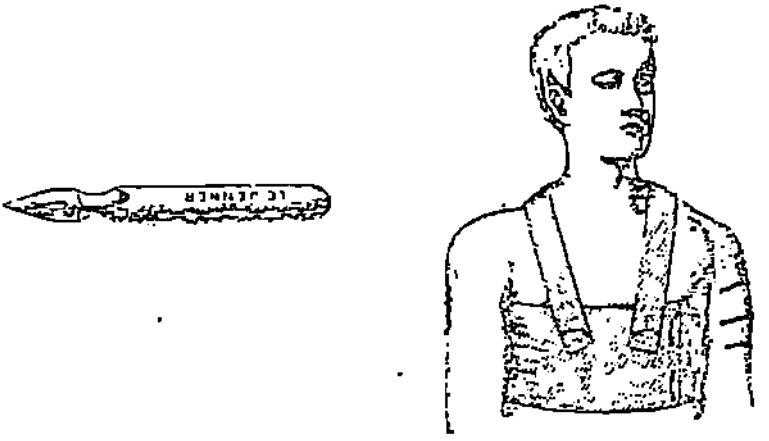

١٥ ترى على الذراع اليسرى خدوش بانى فيها الطعم البتري الاصل ١٦ ريشة للتطعيم

٤ً اضع في كل جرح نحو قمحة صغيرة من المطعوم ولا حاجة مطلقاً الى ربط الذراع

٥ً انتظر عشر دقائق قبل إعادة الملابس اي الى ان يجف المطعوم ملتصقاً بالجلد. واشر بعد ذلك من خدمته هذه الخدمة بالناعة التامة

وفي الختام نسأل الله ان يجعل في شروحنا للجميع وقاية وسلامة وهو السميع المجيب

صديق للعملة

لحضرة الاب فرنسيس تورنيز اليسوعي

تحرير

انّ الحركة الشيوعيّة التي يزيد انتشارها كلّ يوم في انحاء اوربّة ستصبح قريباً آفة جائحة لا يستطاع علاجها والمأمل ستفضي الى قلب الهيئة الاجتماعيّة ودكّ اركانها فتنتشب حربٌ كونيّة نجد في البرلشفيّة تباشيرها الهائلة

وعلاج هذا الداء العضال انّما هو في يد الدين وارباب الامور

آذانهم عن تعاليمهِ المحيية . وهاك مثالاً حديثاً يثبت قولنا باجلى برهان . وهو مثال راهب يسوعي انتقل الى دار البقاء قبل ثلث سنين في فرنسة بعد ان وقف نفسهُ على خدمة العملة ومساعدتهم في شؤونهم الماديَّة والادبيَّة فوثقوا بهِ ثقتهم بأحنّ الآباء واصدق الاصدقاء فبكوهُ بدموع سخينة كبكائهم على اعزّ الاقارب . وكان اسمهُ الاب فليكس ڤولپات . وها نحن نذكر هنا خلاصة اعمالهِ وليس مقالنا إلَّا صدًى ضعيفاً لتلك الحياة الصالحة المصروفة في كل اعمال البرّ سنين عديدة . فنذكر اوَّلاً خلاصة سيرتهِ ثمَّ نصف خدمهُ التي أدّاها العملة

١ الولد والدارس

كنتُ في السنة ١٨٦٦ احد التلامذة المتخرّجين في مدرسة بيليون الشهيرة من اعمال اوڤرنية في فرنسة . فلمَّا انقضت العطلة السنويَّة ورجعتُ في اوائل تشرين لمواصلة دروسي استوقف نظري تلميذٌ جديد يدعى فليكس ڤولپات (Félix Volpette) ضُمَّ الى دارسي الصفّ السادس . وعمرهُ اذ ذاك عشر سنين . كان مولده في ٢ ت ١ سنة ١٨٥٦ في بلدةٍ تدعى « سان ريمي دي شرنيا » من ابوين عريقين بالفضل والتقى فاهتمَّا بتربيتهِ الاولى اهتماماً عظيماً . فلما دخل مدرسة بيليون واختبر الكهنةُ اساتذتُها والشبيبة المتخرّجة فيها ما طُبع عليهِ الولد من حسن السجايا اجمعوا على محبَّتهِ ولم يكن المذكور ممتازاً بثقوب عقلهِ واتقاد ذهنهِ إلَّا انهُ كان كثير الاجتهاد مدمناً على الدرس ذا رصانة وعزم وكان مع رفاقهِ انيساً دمث الاخلاق ساعياً طاقة جهدهِ في خدمتهم مجتنباً عُشرة الذين لم يحسنوا السلوك وحفظ القوانين . فقدّر الرؤساء قدر هذا الشاب وقلّدوهُ لثقتهم بهِ ارفع وظائف المدرسة فكان يساعدهم في نشر ائتلاف القلوب ورقي الفضيلة والنشاط في الدروس

وكان فليكس ضعيف البنية متوسّط القامة عاجزاً عن الالعاب البدنيَّة محبًّا للعزلة فيظن من رآهُ انهُ قليل الهمَّة ذو مزاج لمفاويّ . اما الذين كانوا استبطنوا امره فكانوا يشهدون لهُ بذكاء الفؤاد وحسن الذوق والفكاهة المعتدلة ويُعجبون خصوصاً من انحيازهِ الى المساعي الشريفة والمشروعات الادبيَّة ولذلك كان رفقتهُ يزعمون انهُ عند انتهاء دروسهِ الادبيَّة سوف يتبع الدعوة الاكليريكية . وما اشدَّ

ما كان اندهاشهم لمّا رأوهُ بعد وداع المدرسة يستعدُّ في احدى مدارس كليرمون ليحصل على اجازة العلوم ثم يخصص نفسهُ لاستثمار املاك اهلهِ في مسقط رأسهِ

على انَّ الله كان اختارهُ لغاية اسمى وأشرف وليزهد بالدنيا ويخدم ابناء وطنهِ خدمةً تجدي الاكليروس فخرًا واعتبارًا. ودونك تحرير الخبر:

كان لفليكس صديق حميم في مدرسة بيليون فهذا بعد مباشرة رياضةٍ روحيَّة رأى الله يدعوهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة فدخل بين طلبتها في مدينة كليرمون. وبعد ايَّام عرف انَّ صديقهُ فليكس في تلك المدينة فطلب من رؤسائهِ الرخصة لزيارتهِ. فدار الكلام على دعوة اليسوعيّ وسبب اختيارهِ لرهبانيَّة القديس اغناطيوس دي لويولا وما لقي فيها من سلامة الضمير وراحة النفس ثمَّ التفت الى فليكس قائلًا: «وانت يا صاح كنَّا نحكم عنك إلا نعرف من تُقاك ورزانتك انَّ الله داعيك الى مصفّ الكهنوت فانذهلنا اذ رأيناك تعدل الى العيشة العالميَّة. فأطلبُ اليك باسم صداقتنا ان تفتكر اليوم قبل ان تأوي الى رقادك ما عساك ان تجيب الديَّان يوم وفاتك لو اهملتَ دعوتك دون رضاه»

فكانت هذه الكلمات كسهم نفذ في قلب فليكس لم يدَعْ لهُ راحةً فعَدَّهُ كصوت الله المُعلن لهُ بمشيئتهِ تعالى فكتب الى اليسوعيّ بعد قليل: «انك قد بيَّنت لي ارادة الله وقد قصدتُ ان أتبعك في العيشة الرهبانيَّة بعد تقدمة فحصي امام لجنة الحكومة لانال شهادة الباكالوريَّة». فاجابهُ اليسوعيّ: «انت في غنى عن هذه الشهادة وأيَّاك ان تتأخر عن الاجابة الى دعوة الله»

٢ً الراهب

فما مرَّت ايَّام على هذه المراسلة حتى اقرأ فليكس الوداع على الاهل والاقارب وانضوى الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة فدخل دار الابتداء في كليرمون حيث كان سبقهُ الى الترهُّب اربعة من رفقتهِ في مدرسة بيليون وذلك في ١١ كانون الاوَّل سنة ١٨٧٦

وقد عرفنا فليكس بين طلبة الرهبانيَّة كما عرفناهُ في عداد الدارسين إلَّا أنَّ أخلاقهُ الرضيَّة تكيَّفت بصورة جديدة صورة الفضائل الرهبانيَّة اعني الكفر بالذات وتضحية النفس في خدمة الله والمحبة الاخويَّة والغيرة على خلاص النفوس. فكنَّا

نشاهده مبادرًا لاسعاف المرضى وخدمة الفقراء ومباشرة اعمال التواضع والتقشفات فيرتاح الى كل ما يذلل بهِ نفسهُ ويلاشي في قلبهِ آثار الانانيَّة والاهواء البشريَّة مستمدًّا العون للانتصار على كل الشهوات من قلب يسوع الاقدس والبتول العذراء التي كان راسخًا في عبادتها ومن القديس استانسلاوس شفيع طلبة الرهبانيَّة الذي خصَّ بهِ باكورة عظاتهِ فمدحهُ مديحًا اهلًا بمقامهِ جمع فيهِ بين بلاغة الانشاء والعواطف الرقيقة

ثمَّ تفرَّغ الاخ ڤوليات للدروس البيانيَّة والخطابيَّة تحت نظارة آباء رهبانيَّتهِ في مدينة من اعمال مقاطعة «جورا» تُدعى لونس لوسونيه (Lons-le-Saulnier) فلمَّا اتقنها ارسلهُ الرؤساء الى مدرسة اليسوعيين في مدينة «دول» (Dole) ليدرس الآداب اللاتينيَّة فأحرز لهُ بوقتٍ قريب محبَّة تلامذتهِ لما وجدوا في شخصهِ من الخلال الطيِّبة

على انَّهم لم يتموا بتعليمهِ طويلًا لان جول فري سنة ١٨٨٠ في ايَّام وزارتهِ تحامل على الرهبانيَّات المتعاطية التعليم في فرنسة فاضطُرَّ اليسوعيُّون الى اقفال مدارسهم وسافر الاخ فليكس الى انكلترَّة حيث انكبَّ على درس الفلسفة سنتين ثمَّ اللاهوت والاسفار المقدَّسة اربع سنوات فنال نعمة الكهنوت سنة ١٨٨٧. واذ خفَّت قليلًا وطأة اضطهاد الرهبانيَّات المتولية تهذيب الشبيبة في فرنسة امكن اليسوعيين فتح بعض مدارسهم. فاستُدعي الاب ڤوليات الى مدرسة مونفراي الشهيرة بصفة اب روحي ومرشد وواعظ. فتعشَّقهُ التلاميذ واثنوا على بلاغة خطبهِ حتى انَّ الرؤساء ارادوا تخصيصهُ بالخطابة الدينيَّة في حواضر المدن واستقدموه الى مدينة ليون ليُعدَّ نفسهُ لهذه المهنة السامية مع بعض اخوتهِ الرهبان تحت مراقبة احد نوابغ الخطباء اليسوعيين

وكان آخر ما استعدَّ بهِ لخدمة الكنيسة انقطاعهُ الى الشؤون الروحيَّة مدَّة سنةٍ كاملة بموجب قوانين الرهبانيَّة اليسوعيَّة قبل ابرازهِ نذورهُ الاخيرة. فخرج منها كالجنديّ الشاكّ السلاح المتأهب للجهاد في سبيل الله وفي نصرة الدين

٣ صديق العَمَلة ورسولهم في سَنْت اتيان

سَنْت اتيان مدينة كبيرة في اواسط فرنسة على مسافة ٥٠٠ كيلومتر من ريس يبلغ عدد سكَّانها نحو مئة وخمسين الفًا وهي من اغنى حواضر فرنسة بمناجم

النحم واصطناع ضروب المنسوجات . فهناك يزدحم العمّـلة ويقاسون انواع المشقّات لغلاء الاسعار وصعوبة وجود منازل للاستئجار . ولليسوعيين في سنت اتيان مدرسة كبيرة تخرّج فيها كثير من مشاهير الوطن نخصّ منهم بالذكر المرشالين فوش وفاليول :

فالى هذه المدينة أرسل الاب فليكس ثولبات لخدمة التـلامذة في الروحيّات كمرشد وواعظ ومدير اخويّات كما فعل في مـدرسة مونغراي . فباشر العمل بهمّتـهِ المعهودة وأُنسهِ المعتاد فأحبّهُ الطلبة وصاروا لـهُ اطوع من بنـانهِ في كلّ عمل خير يندبهم اليهِ . وممّا عرضهُ عليهم ان يزوروا معهُ فقراء المدينة والعملة المحتاجين ليوزّعوا عليهم بعض الحسنات فاجابوا الى ملتمسهِ بطيب الخاطر . لكنّ الاب ما لبث ان انقبض قلبهُ حزناً اذ رأى أُلوفاً من العملة يأوون الى اكواخ مزرية قذرة ينقصها النور والهواء فاخذ يفكّر في وسيلةٍ لينقذ هؤلاء المساكين من تلك الاعشاش الفاسدة التي كان كثير من سكّانها يذهبون ضحايا الجراثيم الوبيئة

ولكن ما العمل لحلّ هذا الشكل؟ . فلو كان الامر يتوقّف على تضحية نفسهِ لنجاة هؤلاء البائسين لما تردّد كما عهدناهُ فعل سابقاً في تمريض احد المكروبين اذ كان يسهر ليلاً عند فراشهِ ليقوم في خدمتهِ . امّا هنا فلو اراد ان يُسعف اولئـك العملة البائسين ويجهّز لهم مأوى نظيفة بهجة منعشة كان لا بُدّ لهُ ليدرك مرامهُ من مبالغ طائلة وهو راهبٌ فقير لا يملك شيئاً

على انّ هذا الفكر لم يقنطهُ بل وضع أَملهُ بالله واخذ يسعى الى تحقيق نيّتـهِ بالتدريج . فكان جُلّ مرغوبهِ ان يبتني حيّاً واسعاً للعمّلة فيقسمـهُ اقساماً متساوية يبتني في كلّ قسم منهُ بيتاً بسيطاً وبقربهِ جنينة لزرع البقولات والخضر

وكان لحظ في احدى جهات المدينة اراضي من البور مهملة قحلة قريبة من مناجم الفحم فاستوهبها من اصحابها فأحسنوا بها اليهِ فأسرع وقسمها اقساطاً متساوية جاعلاً كل قسم منها ٥٠٠ متر مربّع فأجرها مجّاناً للعملة المتأهّلين واعارهم الادوات اللازمة ليقيموا لهم بيتاً كافياً وجنينةً صغيرة يفلحونها ويزرعونها في اوقات الفراغ . وانّما اشترط على كل عامل ثلثة شروط ان يزرع جنينتهُ ولا يتشاجر مع جارهِ ولا يشتغل يوم الاحد إلّا الشغل الخفيف الذي لا غنى عنهُ

فأصاب مشروع الاب من النجاح ما فـاق كلّ أمل . ورأى اصحابُ المنـاجم

تحسناً محسوساً في احوال عملتهم فأقبلوا يمدون الاب ڤوليات بالمساعدات المالية ليوسع عملهُ فامكنهُ ان يقتني كذلك اراضي أخرى وانشأ معملاً لاصطناع الآجرّ (الترميد) فتمكن العملة بواسطتهِ ان يبنوا بيوتهم باسعار متهاودة

فبعد قليل من الزمن أصبحت تلك الاحياء الجديدة مآوي منظّمة بهجة المنظر يستنشق اصحابُها الهواء الطيّب ويباركون ذاك الكاهن النابغة الذي بحسن نظرهِ وتفانيهِ انتشل العملة من اكواخهم الوبيئة وعافاهم من الامراض القتّالة

٤ نتائج عمل الاب المادّية والادبيّة

وقد ثبت الاب الفاضل على خطتهِ وتوسيع عملهِ حتى انهُ في سنة وفاتهِ بلغت البيوت التي شيّدها لسكن العملة مع جنائنها الفاً وخمسمائة عدًّا كان يأوي اليها عشرة آلاف من العملة مع عيالهم

ولم يبلغ الى هذه النتائج العظيمة إلّا بعد ما تكلّف من العناء والمشقّات ما يطول شرحهُ وستُنشر تفاصيلَ العمل في كتاب خاصّ. وما يجب ان نذكرهُ هنا انهُ بتحسينهِ لاحوال العملة ربح شكرهم وازال من فكرهم عدّة اوهام كان اعداء الدين زرعوها في قلوبهم ضدّ ارباب الكنيسة فعرفوا انّ من الكهنة مَنْ هو اصدق اصدقائهم فصاروا يتقرّبون اليهِ ويقبلون نصائحهُ

واذ رأى كثيرين منهم متباعدين عن الدين يزدرون بتعاليمهِ اخذ الاب ڤوليات يعقد لهم مجالس ادبيّة في أيّام البطالة فيعرض عليهم المسائل الاجتماعيّة والادبيّة ويفنّد اعتراضات اعداء الدين والاشتراكيين. وعقدَ لهم محاضرات علميّة وادبيّة كانوا يتزاحمون لاستماعها. فانتهز هذه الفرصة ليحبّب اليهم الدين وفرائضهُ ورتبهُ حتى نبذوا ما كان في قلبهم من النفور لأداء واجبات الدين والرجوع الى العيشة المسيحيّة الفضلى والتقرّب من الاسرار المقدّسة. وسعى الى تأليف قلوب العملة مع سادتهم فصار اربابهم يزيدون عنايةً بامورهم كما انّ العملة اخذوا يكرمون سادتهم ويتحبّبون اليهم فاصبحت المعاملات بين العملة ومستخدميهم شهيّة ودّيّة

وممّا ساعد الاب ڤوليات على إحراز ثقة اولئك العملة اهتمامهُ باولادهم فانّهُ كان يجمعهم ويُعنى بتهذيبهم وتعليمهم وان وجدَ بينهم اولادًا اذكياء مهّد لهم السبيل

لمواصلة دروسهم في بعض المدارس الخاصة حتى انَّ منهم من دخلوا المدارس العليا ونالوا بواسطته شهاداتها

ولم يقتصر الاب فليكس عنايتهُ بهؤلاء العملة بل كان ايضاً يقصده المحتاجون من انحاء مختلفة فما كان يردّ منهم احداً خائباً ولنا في حنانهِ على الفقراء فصل واسعٌ نؤجلهُ لفرصة أخرى ان شاء الله

قضى الاب الفاضل نيفاً وربع قرنٍ يستنفد قواهُ في خدمة العملة والمحتاجين وهو يمثل في عينهم صورة كلّ الفضائل الكهنوتيَّة حتى أدّى بهِ تفانيه الى ضعف الصحة وانتهاك القوى فأصيب بداء عياء في امعائهِ اجتهد الاطبَّاء في علاجهِ ووصفوا لهُ السكنى في اعالي الجبال مع اعتزال اشغالهِ المضنكة فلم ينجع فيهِ دواء وبعد شهر قضاها بالآلام المبرحة وبالصبر الجميل وتسليم الارادة لمشيئة تعالى اسلم بكل هدوء روحهُ البارَّة لخالقهِ الذي اراد ان يجازي ذاك العبد الامين على حسن متاجرتهِ بالوزنات المعطاة لهُ فودّع الحياة في ٢١ ايلول سنة ١٩٢٢

كانت وفاة الاب فليكس كارثة انقضَّت على عملة سنت اتيان فلمَّا بلغهم الخبر ما كنت تسمع إلا صراخ الاسف والتأفف بل البكاء والعويل من كل الذين عرفوا ذلك الرسول الفاضل وتذكروا احساناته . ولما ارادوا الاحتفال بجنازتهِ اختار رئيس كهنة المدينة الكنيسة الكاتدرائيَّة لرحبها وسعة ارجائها الَّا ان جمهور الحضور من كلّ طبقات الشعب ما لبث ان ملأ الكنيسة ولم تكفِ الساحة الكبيرة التي في خارجها لتضمّ عدد المتقاطرين لهذه الحفلة التي لم تشاهد لها المدينة شبهاً منذ سنين طويلة . ولم يبرح ذكر الاب حيًّا في كل القلوب الى يومنا الحاضر وقد أقام الرؤساء خلفاً للاب فوليات في مهنتهِ فكتب الينا في رسالة تاريخها ٧ ت ١ ١٩٢٢ :

« اني ما عرفتُ الاب فليكس لكني منذ تعيَّنت لاخلفهُ في وظيفتهِ لدى العملة لا اسمع من افواهُ الجميع إلَّا اطراء الثناء على فضائلهِ واحساناتهِ . وكثيرون لا يزالون يبكونهُ كاحبّ الآباء واقرب الاقارب ويدعونهُ بالاب القديس والكاهن البطل . ففي امس اتاني البارون دي روشاليه فما كاد يذكر اسم الاب المرحوم حتى سالت دموعهُ مدرارًا وقال لي بصوت متقطع بالعويل : لا اظنّ انَّ موت احدٍ من أعزّ اقاربي يمكنهُ ان يجرح قلبي كما أصيب بوفاة الاب فليكس . . اما انا فليس لي من امل إلَّا في شفاعتهِ لأقوم بهذا المشروع الجليل الذي وقف لتدبيرهِ حياتهُ ومجَّد بهِ الله والكنيسة المقدسة »